**وقد خاب من حمل ظلمًا!**

**عبداللطيف بن عبدالله التويجري**

**إخوة الإيمان:** ذكرتْ كتب التاريخ أنَّ أحد وزراء بني العباس اغتصَب مزرعةً لامرأة عجوز، فرفعتْ إليه المرأة تشكو وتترجَّى، فأبَى الوزير. فقالت العجوز: واللهِ لأدعونَّ عليك، فقال لها الوزير ساخرًا: عليكِ بالثُّلُث الأخير مِن الليل!

فلزمتِ العجوز المكلومةُ أسحارَ الليل شهرًا، تدعو على مَن ظلمها، فإذا سهامُ الليل تبلغ آجالَها، فحلَّت به العقوبةُ الإلهيَّة في الظُّلمة، فنكبَه الله على يدِ الخليفة، فقطَع يدَه، ثم بعدَ أُسبوع قَطَع رأسه، فمرَّتْ به المرأة العجوز وأنشدت متشفية:

إِذَا جَارَ الوَزِيرُ وَكَاتِبَـاهُ

وَقَاضِي الأَرْضِ أَجْحَفَ فِي الْقَضَاءِ

فَـوَيْلٌ ثُـمَّ وَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ

لِقَاضِي الأَرْضِ مِـنْ قَاضِي السَّمَاءِ

إنَّه الظلم يا عباد الله! الظلم وما أدراكما الظلم! ما أشدَّ لوعتَه، وما أقسى مرارتَه! مرتعٌ وخيم، وخُلُق ذميمٌ، يأكُل الحسنات، ويمحَق البركات، ويجلبُ الويلات، ويُورث العَداوات.

حروبٌ شبَّت، وشعوبٌ ثارت، وخطوبٌ حلَّت، شرارتُها الأُولى= فتيلُ الظلم.

مَهْلكة للدِّيار، مَفْسدة للأمصار، مَسْخطة للجبار؛ (وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا) [الكهف: 59].

أساسُ كلِّ بليَّة، وأصلُ كلِّ رزيَّة، بالظُّلم والتظالُم يتقاطَع الأقرباء، ويتنافَر الأصدقاء، ما فشَا في أمَّة إلا مزَّق وَحدَتها، وفرَّق كلمتَها، وشقَّ صفَّها، ودمَّر مكتسباتِها!

كم أزاح من سلطانٍ عن عرْشه، وساق ذا صولةٍ إلى نعْشه! كم أنْزل أهلَه من قِمم الرِّفعة، إلى قُمْقُمِ الذِّلَّة! كم أفقرَ بعدَ غنًى، وأذلَّ بعد عزَّة! كم أضْعف بعدَ قوَّة، وأسْقم بعدَ صِحَّة! كم فرَّق بعدَ اجتماع، وشتَّت بعدَ شمْل!

الظالمون مَبْغُوضون في الأرض والسماء!

الظالمون بعيدون عن الهدى والنقاء!

1. إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)
2. وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
3. وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) [الشعراء: 227]،
4. (فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [المؤمنون: 41]،
5. (أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) [هود: 18]، (
6. وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) [طه: 111].

يغتر المسكينُ بإمهال ربِّه، فيتمادَى في غيِّه، ويُمعِن في بغيِه، ما عَلِم أنَّ هذا استدراجٌ من ربِّه؛ ليزداد إثمًا وسوءًا، وفي الحديث: "إنَّ الله لَيُملي للظالِم، حتى إذا أخذَه لم يُفلتْه".

**مِن أشدِّ صور الظلم وأشنعِها:**

الاعتداءُ على الأنفُس البريئة، قال -صلَّى الله عليه وسلَّم-: "يُؤْتَى بالمَقْتولِ يومَ القِيامَةِ مُتَعَلِّقًا بالقاتلِ تَشْخُبُ أوداجُه دَمًا -أي: تسيل- حتَّى يُنْتَهَى به إلى العَرْشِ، فيقولُ: رَبِّ، سَلْ هذا فِيمَ قَتَلَني؟!". رواه الحُميدي وأحمد والنَّسائي.

ومِن الظلم الكبيرِ، والجَوْر المستطير: أكْلُ أموال الناس بالباطِل؛ بأي وسيلة كانت. قال -عليه الصلاة والسلام-: "مَنِ اقْتَطعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسلِمٍ بِيَمينِه، فقدْ أوْجَبَ اللَّهُ له بِها النَّارَ، وَحَرَّمَ عليه الجَنَّةَ"، فقالَ له رَجُلٌ: وإِنْ كانَ شَيْئًا يَسِيرًا يا رَسولَ اللَّه؟! قَالَ: "وإنْ قَضِيبًا من أَرَاكٍ".

وأمَرُّ أشكال الظلم وأشدُّها لوعةً= ظلمُ الأقارب والأرحام، كما قال الشاعر الجاهليُّ:

وَظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً

عَلَى النَّفْسِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

ظُلم بيِّن، ومنظر يَعتصِر له القلبُ كمدًا، أنْ ترى الأبَ أو الأمَّ تَتكَفْكَف منهما الدموع، ظَلَم وما بَرَّ مَن أغْضب والديه بفعله أو قوله: (فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا) [الإسراء: 23].

التفرِقة بيْن الأولاد في العطية أو في النفقة، جَوْر وحَيْف، نهَى الشَّرَع عنه؛ قال -عليه الصلاة والسلام-: "اتَّقوا الله واعْدِلوا بين أولادكم".

عضْلُ البنات والمتاجَرة بمهرهنَّ= ظلمٌ فاحِش، نهى عنه المولَى سبحانه بقوله: (وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ) [النساء: 19]،

الاعتداء على الضعيف= ظلم بين ، قال -عليه الصلاة والسلام-: "إنِّي أُحَرِّجُ حقَّ الضَّعيفَيْن: اليَتِيم، والمرْأَة".

ومِن صُور الظلم ودَرَكاته: ظُلمُ الخَدَم والعمَّال؛ قال -عليه الصلاة والسلام-: "ثلاثةٌ أنا خَصْمُهم يومَ القِيامَة -وذكَر منهم-: ورَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أجيرًا فَاسْتَوْفَى مِنه ولَمْ يعطه أجْرَه". رواه البخاري.

ومِن الظلم والاعتداء: التهوينُ مِن شأن الفواحِش والمنكَرات، وإشاعة الفُجور في المجتمعات! والاعتداء على الأعراض والمحرَّمات.

ومن الظلم المحرَّم: التطاولُ على الممتلكات العامَّة؛ عينيَّةً كانت أم ماليَّة، فهذه حقٌّ وملْك للجميع، والاعتداءُ عليها أو أكْلها اعتداءٌ على الجميع؛ قال -عليه الصلاة والسلام-: "مَنِ اسْتَعْمَلْناه منكم على عَمَلٍ فكَتَمَنا مِخْيَطًا فما فوقَه، كان غُلولاً يأتي به يومَ القِيَامَة". رواه مسلم.

**عباد الله:** ومن تأمَّل في سِير الظلمة، وعاقبة الظُّلم، رأى في مصرعهم أعظمَ العِظات، وفي نهايتهم أسوأَ الخاتمات، كانتْ عقوبتهم معجَّلة؛ للعِبرة والادِّكار، قال -عليه الصلاة والسلام-: "ما مِن ذنبٍ أجدرُ أن يُعجِّلَ اللهُ لصاحبه العقوبةَ في الدنيا معَ ما يَدَّخرُ له في الآخرة مِن البَغْي وقطيعة الرَّحِم". أخرجه الترمذي.

لذا كان مِن الواجبِ الشرعي مواجهةُ الظَّلَمة، ومقارعتُهم بالنصيحة، والقول لهم في أنفُسهم قولاً بليغًا؛ إنذارًا وإعذارًا، وحِفظًا لسفينة المجتمع.

.......

**روى الإمامُ أحمد في مسنده من طريق سفيان الثوري، عن الحسن بن عمرو، عن الحسن بن مسلم، عن عبدِالله بن عمرو قال: قال :**

**إذا رَأَيْت أُمَّتِي تَهابُ الظَّالِمَ أن تَقولَ له: إِنَّكَ أَنْتَ ظالِمٌ= فقدْ تُوُدِّعَ مِنْهم".**.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

**الخطبة الثانية**

**أما بعد:** فيا إخوةَ الإيمان: هذه رسالتان: رسالةُ عتاب، ورسالةُ مواساة.

أمَّا رسالة العتاب، فهي لمَن وقَع في الظلم، وسلَك مساربه، نقول له: لا تغترَّ بحِلم الله عليك، وإمهالِه لك؛ فربُّك يُمهل ولا يُهمل، تيقَّن - أنَّ ظُلمك مُستنَسخٌ في كتاب، لا يَضِلُّ ربي ولا ينسى؛ (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) [الأنبياء: 47].

يا مَن عدَى ثم اعتدَى، اعلم أنَّ ظلمك مَمحَقة للصالحات، مَذْهَبة للحَسَنات، يأتي الظالم يومَ القِيامة بحسنات عظيمة، وأُجورٍ وفيرة، ولكن يأتي مُعلَّقًا بمظالِمه، يأتي وقد شتَم هذا، وقذَف هذا، وأكَل مال هذا، وسفَك دمَ هذا، فيُعطَى هذا مِن حسناته، وهذا مِن حسناته، فإنْ فنَيِت حسناته قبل أن يُقضَى ما عليه، أُخِذ مِن خَطاياهم فطُرِحت عليه، ثم طُرِح في النار.

أيها الظالم:

تَـنَامُ عَيْنُـكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ \*\*\*

يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنَمِ

أمامَك مصيرك المحتوم، وأجلك المختوم:

إِلَى دَيَّانِ يَوْمِ الدِّينِ نَـمْضِي \*\*\*

وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الخُصُومُ

سَتَعْلَمُ فِي الحِسَابِ إِذَا الْتَقَيْنَا \*\*\*

غَدًا عِنْدَ الإِلَهِ مَنِ الْمَلُومُ

هناك -أيُّها الظالِم- لا تأسُّف ولا اعتذار؛ (يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) [غافر: 52].

هناك -أيُّها الظالم- لا ينفعك خليلٌ ولا شفيع؛ (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ) [غافر: 18].

فَتُبْ مِمَّا جَنَيْتَ وَأَنْتَ حَيٌّ \*\*\*

 وَكُنْ مُتَيَقِّظًا قَبْلَ **الرُّقَادِ**

أدِّ الحقوق إلى أهلها، وعامِلِ الناس بمثل ما تحبُّ أن يعاملوك، وأتْبِع السيئةَ الحسنةَ تمحُها: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) [طه: 82].

**وأما الرسالة الأخرى، فهي رسالة مواساة، لمن تجرَّع الظلم وذاق أَساه.**

أخي المظلوم: تمسَّك بحبل ربِّك، وتجلَّد على ابتلائه لك، وأبشِرْ بعدها بالأجْر والعِزِّ والرِّفعة، واسمعْ إلى قول الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم- منتصرًا للمظلومين بقوله: "ثلاثٌ أقْسِم عليهنَّ -وذكَر منهنَّ-: وما ظُلِم عبدٌ مظلمةً فصَبر عليها، إلا زادَه الله بها عزًّا".

يا مَن كبَّلتْه الغموم، وضاقتْ به الهموم، مِن هول الظلوم، يَمِّم وجهك شطرَ السماء، وبُثَّ شكايتك لربِّ البشَر، فلك عندَ ربك دعوةٌ لا ترد؛ قال -صلَّى الله عليه وسلَّم- لمعاذ بن جبل -وقد أرْسله إلى قوم كفَّار-: "واتَّقِ دعوةَ المظلوم؛ فإنَّه ليس بينها وبين الله حِجاب".

أخي المظلوم المكلوم: لا تَرُدَّ الظلم بظلم، فهذا ممَّا نهى عنه ربُّك: : "إنِّي حرمتُ الظلمَ على نفسي، وجعلتُه بينكم محرَّمًا، فلا تَظَالَموا".

لا تثريب عليك أن تتحدَّث بمظلمتك، وأن تحذر ممن ظلمك= فهذا ليس مِن الغِيبة المحرَّمة؛ قال ربُّك: (لاَ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ) [النساء: 148].

أَيُّهَا الْمَظْلُومُ صَبْرًا لاَ تَهُنْ \*\*\*

إِنَّ عَيْنَ اللَّهِ **يَقْظَى** لاَ تَنَامْ

نَمْ قَرِيرَ العَيْنِ وَاهْنَأْ خَاطِرًا \*\*\*

فَعَدْلُ اللَّهِ دَائِمٌ بَيْنَ الأَنَامْ

وَإِنْ أَمْهَلَ اللَّهُ يَوْمًا ظَالِمًا \*\*\*

فَإِنَّ أَخْذَهُ شَدِيدٌ ذُو انْتِقَامْ

أخي المظلوم: أما إنْ عفوتَ وسامحت، ورددتَ بالحَسنةِ السيئةَ، فهذه محلَّةٌ عظيمة، وجزاء موفور، عندَ الملك الشَّكور: (وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ).

اللهم جنِّبْنا الظلم ودَركاته، ووفقْنا للعدل وحسناته.